بين يدي عبق ذكرى المولد

د . محمد توفيق رمضان البوطي

أما بعد فيا أيها المسلمون، يقول ربنا تبارك وتعالى في وصف نبيه المصطفى ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ويقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ويقول جلَّ شأنه في وصفه أيضًا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة». وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً قال قيل يا رسول الله: «ادع الله على المشركين، قال إني لم أبعث لعانًا، إنما بعثت رحمة»، وروى جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: مثلي ومثلكم كمثل كرجل أوقد نارًا فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها، وهو يذبهنَّ عنها؛ وأنا آخذ بحُجَزكم عن النار وأنتم تفلّتون من يديّ».

أيها المسلمون، بين يدي عبق ذكرى مولد المصطفى ﷺ وشذى تلك الذكرى العظيمة من الملائم أن نعود فنتصفح شمائل المصطفى ﷺ وخصائصه وسيرته العطرة، لنوثق الصلة به، ولتتوطد المحبة في قلوبنا له، ولنكون أشد حرصًا على الاقتداء بهديه، ألم يقل ربنا تبارك وتعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ألم يقل ربنا تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وفي عصرنا هذا حيث تحرص الدوائر المعادية للإسلام أن تظهر الإسلام للجهلة به من أبناء أممهم وشعوبهم ومن الجهلة من أبناء أمتنا بصورة منفرة، بصورة مشوهة. نحن اليوم بأشد الحاجة إلى أن تكون الصورة لدينا صحيحة، وأن تكون معرفتنا بالنبي ﷺ وبديننا معرفةً سليمةً دقيقة، فكثيرون هم ضحايا جهلهم برسول الله ﷺ ولو عرفوه لما كانت منهم تلك المواقف السلبية، أنا لا أعمم إنما أقصد الشعوب، كثيرون أولئك الذين لو حظوا بمعرفة رسول الله ﷺ بصورة صحيحة لكانت لهم مواقف إيجابية وجيدة قد تصل بهم إلى الهداية والإسلام. ولقد التقيت بكثيرين ممن ليسوا مسلمين، وممن كانت لهم مكانة؛ وعندما عرضْتُ بعض معالم شخصية المصطفى ﷺ قال لي أحدهم، ليتني كنت أعرف ما تقول قبل أن أسافر لتلك البلاد، أي أنه عندما رأى بعض المسلمين نفر من الإسلام، ولكنه عندما عرف حقيقة الصورة

الإسلامية من خلال شخصية المصطفى ﷺ ومن خلال الشريعة السمحاء التي بُعث بها؛ ندم أن لم يكن قد تعرف على الإسلام قبل أن يتعرف على المسلمين، وللأسف. كيف وقد وظفت اليوم وسائل الإعلام وشبكات التواصل وغيرها من قِبَل الأدوات القذرة التي صنعتها الدوائر المعادية لتشويه الإسلام وباسم الإسلام، لمحاربة الإسلام وتحت راية الإسلام المزعومة. لا تؤخذوا بالشعارات، ولا ينبغي لعاقل اليوم أن يخدع بالشعارات المرفوعة، فهي شعارات مضللة، ورفع الشعارات المضللة آلة من الآلات ووسيلة من الوسائل التي يستخدمها اليوم أعداء الإسلام لمحاربة الإسلام.

أيها المسلمون؛ شخصية النبي ﷺ فيها معالم لو تأملها الإنسان لرأى أنها جامعة لكل معاني الحسن والسمو والخير، فهو الكرم، وهو الرحمة، وهو الشجاعة، وهو الإحسان، وهو اللطف والرقة والعذوبة، وهو الحرص علينا على الإنسان كله، ربنا تبارك وتعالى وصفه فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ والخطاب هنا لأمة التبليغ، وليس لأمة الهداية، أي للبشرية كلها، لقد جاءكم؛ أي للبشر كلهم رسول منكم أي من الناس حريص عليكم يخشى عليكم الهلاك، يخشى عليكم العنت، حريص عليكم أن لا تتقاذفكم أودية الضلالة وأسباب التعاسة والشقاء، بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ الرأفة والرحمة شيء زائدٌ على حسن المعاملة. ولكن حسن المعاملة حقٌ لكل إنسان، وواجب علينا تجاه كل إنسان، وفي الآية الأخرى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ لمن؟ للمشركين..للناس كلهم ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشاورهم في الأمر﴾ الكلمة موجهة إلى معاملة الإنسان مسلمًا كان أم غير مسلم، وللمسلمين خصوصيات في التعامل، لقد خَصَّ لنا ربنا تبارك وتعالى رسالة النبي ﷺ وشخصيته في الآية القرآنية التي بدأتُ بها الخطبة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ قال: **للعالمين** أي العوالم كلها، المسلمين وغير المسلمين من البشر، للناس ولغير الناس، للأحياء وللجمادات، لكل شيء. النبي ﷺ كان رحمة بالخليقة كلها وبالعوالم كلها، والمتأمل في سيرته، يدرك هذا المعنى من خلال كيفية تعامله ولطف معشره وأخلاقه، لم يخصص الله تعالى الرحمة هنا للمؤمنين، بل قال: ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ومن مظاهر تلك الرحمة التي عامل بها العدو والصديق، والمسلم والكافر، ولقد مر بنا الحديث عندما قيل له: ((ادع الله على ثقيف، أو ادع الله على المشركين)) قال:« إن الله لم يبعثني لعانًا ولا طعانًا إنما بعثني رحمة، إنما أنا رحمة مهداة» لم يرض أن يدعو الله على أعدائه، وهم الذين حاربوه وقاتلوه واضطهدوه، وحاولوا قتله مرارا، لم يدعُ الله عليهم؛ بل دعا الله لهم، وقال : «اللهم اهدِ قومي فإنهم

لا يعلمون"، "إن الله لم يبعثني لعانًا ولا طعانًا إنما بعثني داعية ورحمة»، ثم قال: «اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون». عندما انتصر النبي ﷺ على قريش بعد حرب استمرت ثماني سنوات بعد الهجرة، وصبرٍ على إيذائهم ثلاثة عشرة عاماً قبل الهجرة، بماذا واجه أعداءه الذين انتصر عليهم؟ وكيف عاملهم؟ دعاهم إلى المسجد الحرام، ووقف على باب الكعبة، ونظر إليهم وقال: « ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، فماذا قال لهم؟ قال: «أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء» فدخل معظمهم الإسلام. أهدر دم ستة من ألد الأعداء للمسلمين، ستة من بين قريشٍ كلها، أهدر دماءهم حتى ولو كان أحدهم معلقاً بأستار الكعبة، فجاءته هند وهي منهم متلثمة متنقبة وبايعته على الإسلام، فابتسم لها وصفح عنها ونسي ما كان منها، وهي التي كانت تؤلب القلوب ضد النبي ﷺ، وهي التي لاكت كبد حمزة ﷺ ماذا قال؟ «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم» وغيرها من الستة، صفوان بن أمية، عكرمة بن أبي جهل، صفح عنهم؛ بل إنه أعطى عمامته له ليدخل مكة وعليه علامة الأمان، وهو الذي أهدر دمه، لكنه عندما أعلن أنه يريد الإسلام مسح كل ما كان وصفح. هذه هي دعوة النبي ﷺ وهذا هو إسلامنا، هذه هي دعوتنا وهذا هو ديننا وهذه هي سيرة قدوتنا ﷺ.

كان النبي ﷺ رحيمًا بالخلق كلهم، حتى بالبهيمة، ألم يقل لنا في التلطف بالبهيمة، حرم على الرجل أن يضرب بهيمته – لاسيما على الوجه- وأمره إذا ما مضى مسافراً أو مضى أن لا يرهقها بالسرعة، فقال: «إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى» أي أنه لن يصل، وذهب هذا الحديث مثلًا وحكمة، والمنبت هو الذي يسرع بدابته حتى يرهقها فيقتلها، نهاه عن ذلك. وأمر صاحب الدابة أن يرعاها ويطعمها ويسقيها ولا ينال منها مشقة وتعبًا وتعذيبًا وتجويعًا، ونهى عن كل معاملة حتى للبهائم والطيور فيها نوع إساءة، هو رحمة للعالمين بما فيهم الحيوانات. رحمته بالأطفال مدرسة لكل أب، مدرسة لكل معلم، مدرسة لكل أم، مدرسة لكل إنسان كيف نعامل الطفل، بالرقة بالكلمة الطيبة بالرأفة بالرحمة، كان يداعبهم، كان يذهب إلى العالية من المدينة المنورة ليرى ولده ابراهيم وكان لايزال رضيعًا- وتوفي وهو رضيع- كان يأتي إليه ليراه فيقبله ثم يعود، وعندما توفيت ابنة ابنته امامة بكى، إنها الرحمة، وقبل النبي ﷺ الحسن بن علي فقال له الأقرع بن الحابس: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت أحدا منهم، فقال نبي الله ﷺ: "من لا يرحم لا يرحم" ونظر النبي ﷺ إلى ابنه إبراهيم وهو

في حجره يموت ففاضت عيناه فقال له عبد الرحمن: أتبكي يا رسول الله وقد نهيتنا عن البكاء؟ فقال: " إني لم أنهكم عن هذا، إن هذا رحمة، من لا يرحم لا يرحم "إنها رحمة أودعت قلب النبي ﷺ. و

كان يداعب الأطفال الحسن والحسين وكانا يركبان على ظهره، فيقول: «نعم الجمل الجمل جملكما، ونعم الحمل أنتما»، وكان يقبل أطفاله، فقال له أحدهم : (والله ما قبلت طفلاً)، فقال له: «ما أفعل لك إذ حُرمت من الرحمة»؟ كيف لا أقبل وهو تلك البراءة التي تستنهض كل مشاعر الرحمة في قلب الإنسان، كان النبي ﷺ بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، وكان النبي ﷺ يخص الأطفال بباكورة الفاكهة، قبل أن يطعمها للكبار، ينادي أصغر واحد من الموجودين ينادي الطفل فيخصه بتلك الفاكهة، لأن الطفل تشتهي نفسه ولا يملك شهوته، ولذلك كان يرق قلبه له، هذا رسولنا هذا حبيبنا، هذا المصطفى ﷺ.

هذا هو النبي عليه الصلاة والسلام. وليست الصورة الشوهاء التي يعرضها أعداء الإسلام باسم الإسلام، المجرمون القتلة الذين وظفتهم الدوائر الأمريكية والصهيونية لتشويه ديننا وتشويه شخصية نبينا ﷺ؛ فاستباحوا الدماء واستباحوا الأعراض وخربوا وقتلوا ودمروا فلم يتركوا أخضرَ ولا يابسًا.. لم يتركوا شيئًا إلا وأساؤوا إليه، ولذلك ليس مستبعدًا عنهم أن يستعملوا كل وسائل القتل والدمار ضد الإنسان. والأنكى من ذلك أن يرفعوا راية الإسلام فوق رؤوسهم لكي يمعنوا في الإساءة إلى الإسلام، ليمعنوا في تشويه الإسلام.

وفي البداية كنا قد حذرنا من ذلك وبيَّنا أنها انحراف، وبيَّنا أن هذا الذي يجري ليس إسلاماً ولا إصلاحًا ولا حرية، لكن أبى البعض إلا ان يركب رأسه، ليرى بأم عينه النتائج التي تتجلى على أيديهم، ولقد أرانا الله فيهم منهم قسوتهم على أنفسهم وقسوتهم فيما بينهم، واقتتالهم فيما بينهم. علامَ يقتتلون؟ سلوهم على ماذا يقتتلون؛ على لا إله إلا الله، محمد رسول الله؟ هم ليسوا من أهل لا إله إلا الله، هم أدوات باعوا دينهم مقابل دنيا مزيفة، فلما خسروا الدنيا اقتتلوا على البقية الباقية منها في أخيلتهم، اقتتلوا على البقية الباقية منها في تصوراتهم وأوهامهم، فجعلهم الله تعالى عبرة لمن يعتبر، فهل من متعظ؟ أهذا هو الإسلام؟ أن تقذف الآمنين أن توجهوا قذائفهم على المساجد على المشافي على الملاجئ على البيوت، بالغازات السامة وبالحمم وبغيرها رافعًا صوتك بـ لا إله إلا الله والله أكبر؟ والله إن لا إله إلا الله لبريئة منهم، والله إن هذه الشعارات لغريبة عنهم. أقول: لقد آن

لأمتنا أن تنبذ هؤلاء، آن لأمتنا أن تبحث عن مخرج على النحو الذي رسمه رسول الله ﷺ أن تتصافح القلوب وأن يتعانق منا الإخوة الذين فرقت فيما بينهم مكائد الشيطان، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ إنه الشيطان الأكبر الذي يتدرب إبليس عليه في المكر والخديعة والإساءة، إنه المؤامرات التي استخدمت بني جلدتنا لتشويه ديننا، واستخدمت شعاراتنا لتشويه شعاراتنا، آن الأوان أن يستيقظ الجميع ليعودوا إلى رشدهم ولتتصافح القلوب وتتعانق الأجساد على مصلحة هذه الأمة وعلى إعادة نسيج الأخوة والمحبة فيما بين أبناء الوطن الواحد والدين الواحد والبيت الواحد. آن الأوان أن نعود إلى رشدنا ونصغي إلى كلمة الحق (فأصلحوا بين أخويكم).

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين

خطبة الجمعة في 18 / 11 / 2016م